

تَقْسِمُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

١٣

سورة المدثر ٩-١-١٤٠٣

دراسات الأستاذ:

مهدي الهادي الطهراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)

قُمْ فَأَنْذِرْ (٢)

وَ رَبِّكَ فَكَبِيرٌ (٣)

وَ ثِيَابِكَ فَطَهَّرٌ (٤)

وَ الرَّجُزَ فَاهْجُرٌ (٥)

وَلَا تَمُنُّ بِتَسْتَكْبُرُ (٦)

وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرِ (٧)

فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨)

فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩)

عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)

ذُرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١)

وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢)

وَ بَيْنَ شُهُودًا (١٣)

وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤)

ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥)

كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦)

سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا (١٧)

إِنَّهُ فَكَّرَ وَفَكَّرَ (١٨)

فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩)

تَمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠)

ثُمَّ نَظَرَ (٢١)

ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ (٢٢)

ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ (٢٣)

فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤)

إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)

سَأُصَلِّيهِ سَقَرَ (٢٦)

وَ مَا أَدْرَأكَ مَا سَقَرُ (٢٧)

لَا تُبْقِي وَ لَا تَذَرُ (٢٨)

لَوَاحٍ لِّلْبَشْرِ (٢٩)

سورة المدثر

عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)

وَ مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَ مَا جَعَلْنَا
 عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ وَ يَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَ لَا يَرْتَابَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي
 قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَ الْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا
 مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ
 وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَ مَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى
 لِلْبَشَرِ (٣١)

كَلَّا وَ الْقَمَرِ (٣٢)

وَ النَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣)

وَ الصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤)

إِنَّهَا لَأَخَذَى الْكُبْرِ (٣٥)

نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦)

لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقُمْ أَوْ
يَتَّخِرَ (٣٧)

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨)

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ

- و قوله (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) معناه **إن كل نفس مكلفة مطالبة بما عملته و كسبته من طاعة او معصية**، فالرهن أخذ الشيء بأمر على أن لا يرد إلا بالخروج منه رهنه يرهنه رهناً قال زهير:
- و فارقتك برهن لافكاك له
فأمسى الرهن قد غلقا «١»
- (١) ديوانه ٣٩ (دار بيروت)

يوم الوداع

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ

- و كذلك هؤلاء الضلال قد أخذوا برهن لافكاك له.
- قال الرماني: في ذلك دلالة على القائلين باستحقاق الذم، لأنه عم الارتهان بالكسب في هذا الموضع، و هم يزعمون انه يرتهن بأن لم يفعل ما وجب عليه من غير كسب شيء منه، فكانت الآية حجة على فساد مذهبهم.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ

- و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لان الذى فى الظاهر ان الإنسان رهن بما كسبت يداه. و لم يقل: و لا يرهن إلا بما كسب له إلا من جهة دليل الخطاب الذى هو فاسد عند اكثر الأصوليين، على ان الكسب هو ما يجتلب به نفع او يدفع به ضرر، و يدخل فى ذلك الفعل، و ألا يفعل، فلا تعلق فى الآية.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ

- قوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» الباء بمعنى مع أو للسببية أو للمقابلة و «رَهِينَةٌ» بمعنى الرهن على ما ذكره الزمخشري قال في الكشاف: رَهِينَةٌ ليست بتأنيث رَهِينٍ في قوله: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» لتأنيث النفس لأنه لو قصدت لقيلاً: رَهِينٌ لأن فعلاً بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر و المؤنث، و إنما هي اسم بمعنى الرهن كالشئمة بمعنى الشتم كأنه قيل: كل نفس بما كَسَبَتْ رهن. انتهى.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ

• و كان العناية في عد كل نفس رهينة أن لله عليها حق العبودية بالإيمان و العمل الصالح فهي رهينة محفوظة محبوسة عند الله حتى توفى دينه و تؤدي حقه تعالى فإن آمنت و صلحت فكت و أطلقت، و إن كفرت و أجمت و ماتت على ذلك كانت رهينة محبوسة دائما، و هذا غير كونها رهين عملها ملازمة لما اكتسبت من خير و شر كما تقدم في قوله تعالى: «كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ»: الطور ٢١.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ

• و الآية في مقام بيان وجه التعميم المستفاد من قوله: «نذيراً للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر» فإن كون النفس الإنسانية رهينة بما كسبت يوجب على كل نفس أن تتقى النار التي ستحبس فيها إن أجمت و لم تتبع الحق.

إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩)

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ

• و لما ذكر تعالى أَنَّ (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) استثنى من جملة النفوس فقال (إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) و الاستثناء منقطع، لان اصحاب اليمين ليسوا من الضلال الذين هم رهن بما كسبوه، و تقديره لكن أصحاب اليمين (فِي جَنَّاتٍ) أَي بساتين أجنها الشجر،

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ

- **و اصحاب اليمين** هم كل من لم يكن من الضالين.
- **و قال الحسن:** هم اصحاب الجنة.
- **و قال قوم:** هم الذين ليس لهم شيء من الذنوب.
- **و قال قوم:** هم أطفال المؤمنين.

وَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ
(الواقعه، ٢٧)

• و قوله «وَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ» قيل فى معناه
ثلاثة أقوال:

- أولها - الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم.
- الثانى - الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة.
- الثالث - اصحاب اليمن و البركة.

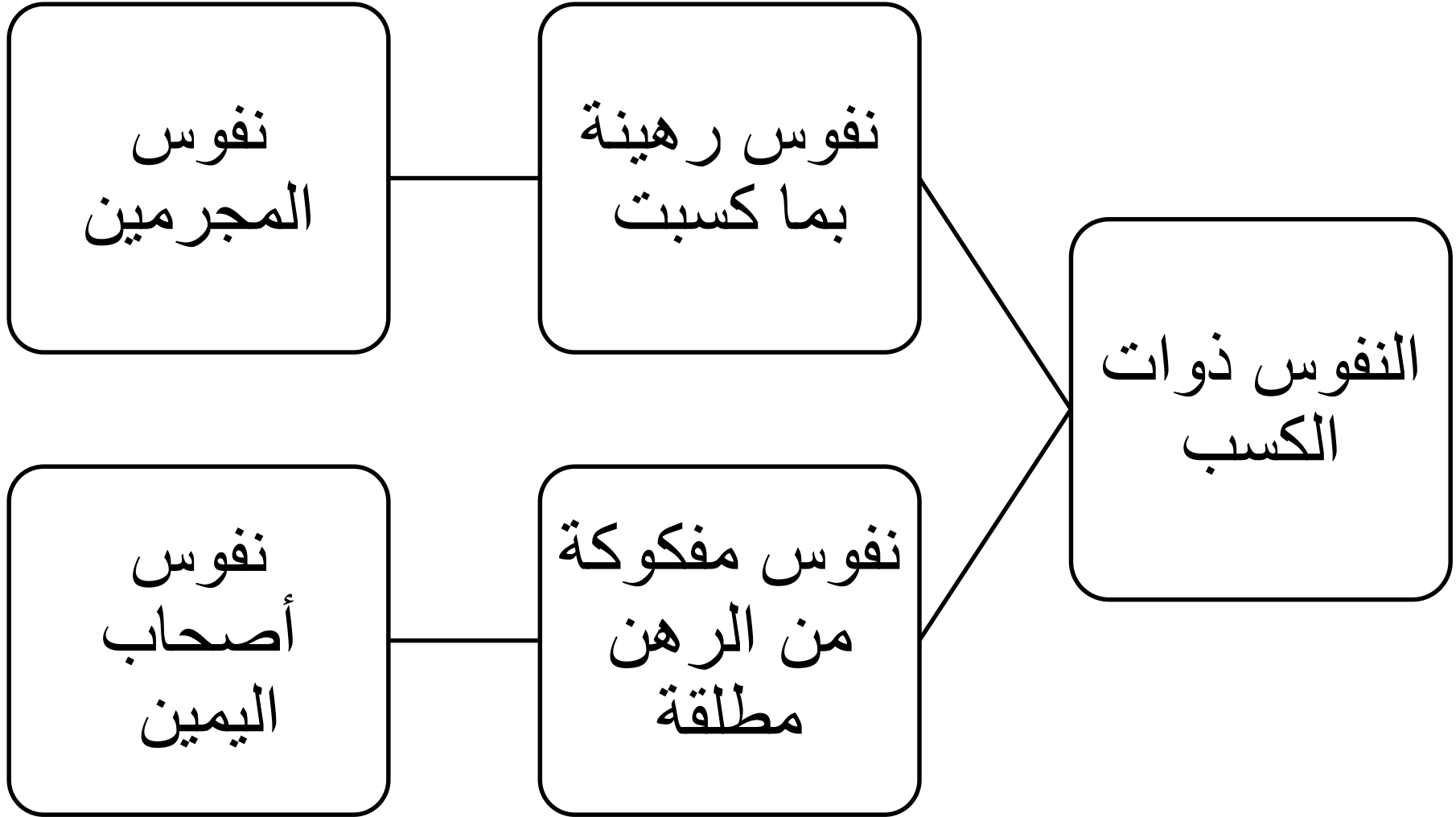
وَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (الواقعه، ٢٧)

- قوله تعالى: «وَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ» شروع في تفصيل ما انتهى إليه حال أصحاب الميمنة و في تبديله من أصحاب اليمين يعلم أن **أصحاب اليمين و أصحاب الميمنة واحد و هم الذين يؤتون كتابهم بيمينهم**. و الجملة استفهامية مسوقة لتفخيم أمرهم و التعجيب من حالهم و هي خبر لقوله: «وَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ».

إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ

- قوله تعالى: «إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ» هم الذين يؤتون كتابهم بإيمانهم يوم الحساب و هم أصحاب العقائد الحقّة و الأعمال الصالحة من **متوسطى المؤمنين**، و قد تكرّر ذكرهم و تسميتهم بأصحاب اليمين فى مواضع من كلامه تعالى، و على هذا **فالاستثناء متصل**.

إِنَّمَا أَصْحَابَ الْيَمِينِ



إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ

• والمتحصل من مجموع المستثنى منه و المستثنى انقسام النفوس ذوات الكسب إلى نفوس رهينة بما كسبت و هي نفوس المجرمين، و نفوس مفكوكة من الرهن مطلقه و هي نفوس أصحاب اليمين،

إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ

• و أما السابقون المقربون و هم الذين ذكرهم الله في مواضع من كلامه و عددهم ثلاثة الطائفتين و غيرهما كما في قوله تعالى: «و كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً - إِلَى أَنْ قَالَ - وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ»: الواقعة: ١١، فَهَؤُلَاءِ قَدْ اسْتَقَرُّوا فِي مَسْتَقَرِّ الْعِبَادَةِ لَا يَمْلِكُونَ نَفْسًا وَ لَا عَمَلًا نَفْسَ فَنفُسَهُمْ لِلَّهِ وَ كَذَلِكَ أَعْمَالُهُمْ فَلَا يُحْضَرُونَ وَ لَا يُحَاسَبُونَ

إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ

- قال تعالى: «فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ»: الصافات: ١٢٨، فهم خارجون عن المقسم رأساً.

إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ

• و عن بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالملائكة، و
 عن بعضهم التفسير بأطفال المسلمين و عن بعضهم
 أنهم الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق، و عن
 بعضهم أنهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، و
 هي وجوه ضعيفة غير خفية الضعف.

فِي جَنَابٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠)

عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١)

مَا سَأَلَكُمْ فِي سَفَرٍ (٤٢)

فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ

- و قوله (يَتَسَاءَلُونَ) أَي يسأل بعضهم بعضاً (عَنِ الْمُجْرِمِينَ) العصاة في طاعة الله، فيقولون لهم (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ) أَي ما أدخلكم في جهنم فالمجرم هو القاطع بالخروج عن أمر الله و نهيهِ الى ارتكاب الكبائر من القبيح، و الجارم القاطع. و السلوك الدخول. و سقر اسم من أسماء جهنم.

فِي جَنَاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَّكُمْ

فِي سَقَرٍ

- قوله تعالى: «فِي جَنَاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَّكُمْ فِي سَقَرٍ» «فِي جَنَاتٍ» خبر لمبتدأ محذوف و تنوين جنات للتعظيم، و التقدير هم في جنات لا يدرك وصفها، و يمكن أن يكون حالا من أصحاب اليمين.
- و قوله: «يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ» أي يتساءل جمعهم عن جمع المجرمين.

فِي جَنَاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمَجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ

فِي سَقَرِهِ

- و قوله: «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ» أَي مَا أَدْخَلَكُمْ فِي سَقَرٍ بِيَان لِّتَسَاوُلِهِمْ مِنْ بِيَانِ الْجَمَلَةِ بِالْجَمَلَةِ، أَوْ بِتَقْدِيرِ الْقَوْلِ أَي قَائِلِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ.

قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣)

وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤)

لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ

• ثم حكى ما يجيبهم به اصحاب النار فإنهم يقولون لهم: أدخلنا في النار لأننا (لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) أى لم نكن نصلى ما أوجب علينا من الصلاة المفروضة على ما قررها الشرع، و فى ذلك دلالة على ان الإخلال بالواجب يستحق به الذم و العقاب، لأنهم لم يقولوا انا فعلنا تركاً للصلاة بل علقوا استحقاقهم للعقاب بالإخلال بالصلاة

وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ

- و فيها دلالة على أن الكفار مخاطبون بالعبادة لان ذلك حكاية عن الكفار بدلالة قوله في آخر الآية (وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ).

وَلَمْ نَكُ نَطْعَمُ الْمَسْكِينِ

• وقوله (وَلَمْ نَكُ نَطْعَمُ الْمَسْكِينِ) أى لم نكن نخرج الزكوات التى وجبت علينا، والكفارات التى يلزمنا دفعها الى المساكين. وهم الفقراء، فالمسكين الذى سكنته الحاجة الى ما فى ايدى الناس عن حال النشط.

وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمَسْكِينِ

- و حال الفقير أشد من حال المسكين. قال الله تعالى (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ) «١» فسماهم الله مساكين مع أن لهم مركباً في البحر قال الشاعر:
أنا الفقير الذي كانت حلوبته
وفق العيال فلم يترك
له سبد «٢»

- (١) سورة ١٨ الكهف آية ٨٠

- (٢) مر تخريجه في ٥ / ٢٨٣ [.....]

قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ

- قوله تعالى: «قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ» ضمير الجمع للمجرمين، و المراد بالصلاة التوجه العبادى الخاص إلى الله سبحانه فلا يضره اختلاف الصلاة كما و كيفا باختلاف الشرائع السماوية الحقّة.

وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ

- قوله تعالى: «وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ» المراد بإطعام المسكين الإنفاق على فقراء المجتمع بما يقوم به صلبهم و يرتفع به حاجتهم، و إطعام المسكين إشارة إلى حق الناس عملاً كما أن الصلاة إشارة إلى حق الله كذلك.